الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: روزاليوسف

التاريخ : ١٩٧٦/١٠/٤

« ان هذه التجربة يجب أن تنجح ، وساعمل من جانبى على نجاحها كاملا، برغم كل هذه الأخطاء » .

انور السادات

الرئيس والسيار !

لم يكن خطاب الرئيس السادات فى الذكرى السادسة لجمال عبد الناصر مفاجاة سارة لتنظيم اليسار .

فالرئيس قد نقد بشدة موقف التنظيم من « حق الاضراب » ، واتهم هذا الموقف بانه محاولة المكسب الشعبى الرخيص على حساب مصلحة البلاد .

ثم وضع التنظيم فى قائمة اتهام واحدة مع أقصى اليمين الرجعى المتخلف ، وبقايا عهد فاروق البائد.

ومعروف فى عالم السياسة أن مواقف أقصى اليمين وأقصى اليسار غالبا ما تقود الى نتائج عملية واحدة . ولكن «التجمع الوطنى الديمقراطى» ليس بالتاكيد أقصى اليسار فى مصر . والرئيس بالتاكيد ليس خصما له ، ولا لليسار بصفة عامة .

فما الحكاية اذن ؟

لقد وضع التنظيم اليسارى « حق الاضراب » فى برنامجه الرسمى الذى أقره الاتحاد الاشتراكى . ووقتها لم يلفت النظر . لأنه كان شعارا فقط . لم يدرس بعد . ولم يتحول الى مشروع مفصل ، ومطروح على الامة .

ولكن ...

فجاة جاء اضراب عمال النقل . فاذا بالتنظيم يجد نفسه أسير الشعار الذى سجله فى برنامجه .

وبغير دراسة ، وبغير مشروع مفصل ، أسرع يطرح الشعار كما لو كان قضية الساعة .

ولم يلاحظ التنظيم أنه طرف فى تحالف الاتحاد الاشتراكى . وان الطريق الى تحقيق شعاره يجب أن يبدأ بالحوار واقناع بافى الاطراف . وان الوقت اصلا غير مناسب ، والمشروع غير معد .

وهكذا ، قاد التنظيم نفسه الى أزمة .

وعندما تحدث الرئيس كانت حجته تجاه دعوة الاضراب بالغة البساطة ، ولا يسهل الرد عليها : عندنا عمال لا يحق لنا فصلهم ، فكيف يحق لهم الامتناع عن العمل ؟ ولهؤلاء العمال حقوق وضمانات نلتزم بادائها ، فمن اين نؤديها اذا توقفوا عن الانتاج ؟

ولو أن تنظيم اليسار كان يملك مشروعا مدروسا ، لكان محتملا أن يرى :

● ان هناك عمالا لدى القطاع الخاص ، لا يتمتعون بهذه الحقوق والضمانات .

● ان هناك مسئولين فى القطاع العام يسدون القنوات الطبيعية للتعبير العمالى أحيانا ، ويدفعون عمالهم دفعا الى الاحتجاج .. ولو بالاضراب .

وعلى هذا الضوء كان محتملا أن يطرح التنظيم مشروعا يعطى حق الاضراب لعمال القطاع الخاص وحدهم ، أو مشروعا يمنحهم حقوق وضمانات القطاع العام حتى يعفيهم من الحاجه الى الاضراب ، أو مشروعا يحاسب كل مسئول يسد قنوات الحوار مع العمال .. الخ .

لكن التنظيم تعجل اطلاق الشعار على علاته . وفى وقت أزمة نحمل عبأها الحكومه التى هو طرف فى التحالف معها ، والنظام الذى هو جناح منه .. دون أن يجنى من ذلك سوى تصوير نفسه بصورة الذى يريد أن يصيد فى الماء العكر .

وهذه الصورة ، بالتحديد ، هى الخلفية التى أقام عليها الرئيس نقده الحاد لتنظيم اليسار يوم الثلاثاء الماضى .

●●

وقد كان الرئيس حادا ايضا ، وربما اكثر حدة ، على اليمين الذى يندب الماضى الذهبى ويترحم على أيامه .

ولكن اليمين لاتضيره كثيرا حدة الرئيس . فالثورة قد جردته أصلا من العالم الذى كان ، والذى هو واثق انه لن يعود . وأى كلام لن يؤذيه أكثر . وقديما قال العرب : لايضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

أما اليسار ، فعينه على المستقبل . ودوره يتأثر كثيرا بجو التحالف الوطنى الذى هو جزء منه . وهو جو سيء بما فيه الكفاية . لا يكاد يمضى يوم دون أن تنطلق فيه دعوة بطرد اليسار أصلا من حظيرة الوطن ، او حرمانه من الجنسية كعميل ، أو اقامة حد الكفر عليه . ومنذ تشكل التنظيم اليسارى والضغوط لا تكف لتخويف أعضائه ، او تخويف الناس من اعضائه .. حتى

يستقر في روع الجماهير أنه « تنظيم غير مرغوب فيـــه » . وقد جاء خطاب الرئيس الاخير فاعتبره خصـــوم اليسار ضوءا اخضر لتوسيع الحملة . واعتبار التنظيم « حلفا أســـود » بين الناصريين والماركسيين .. الخ .

وفى كل الدنيا يحرص المتحالفون على أن يضموا اليهم أكبر عدد من الفرق المختلفة معهم ، ويقيسون نجاحهم بمقدار ما ينجحون فى ذلك . ولكننا فى مصر أمام تحالف يضـــيق بالذين فى داخلـــه ، ويناضل باصرار من أجل أن ينفض .

ولا يمسك هذا التحالف ، فى واقع الامر ، الا أنور السادات . وهو يمســـكه لأنه ابعد نظرا . وأكثر اشـــفاقا على مصر ، وأكثر مســـئوليه عن مســـتقبلها . ولأنه يعـــلم عن يقين أنه لابديل للتحالف الا الدمار العام .

ومن هنا خطورة الشرخ فى العلاقة بين اليسار وبين الرئيس .

لا لأنه رئيس الجمهـورية . ولكن لأنه المدافع الاول عن التحالف ، وعن الوجود الشرعى لليسار فيه .. وسط غابة من الرافضين الالداد .

واذا فشل اليسار فى اجراء حوار مع السادات، فلا أمل فى حـــوار مع باقى الاطراف . وطريق التحالف مسدود مسدود مسدود !

صـــلاح حـــافظ